الدرس الثالث والخمسون: التجارة الرابحة ذكر الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة لسليمان بن داود عليهما السلام في (حلية الأولياء)، فعن وهب بن منبه قال: كان لسليمان بن داود عليهما السلام ألف بيت أعلاه قوارير، وأسفله حديد، فركب الريح يوما فمر بحراث، يحرث فنظر إليه الحراث - أي الفلاح - فقال: لقد أوتي آل داود ملكا عظيما، فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام قال: فنزل حتى أتى الحراث وقال: إني سمعت قولك وإنما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، لتسبيحة واحدة يتقبلها الله تعالى منك خير مما أوتي آل داود، فقال الحراث: أذهب الله همك كما أذهبت همي (24).

لقد أمرنا الله ♣ بذكره كثيرا بكرة وعشيا عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب قال تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(42)**} [الأحزاب: 41 - 42].

إخوتي في الله، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً، كونوا من أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، كونوا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتنفرج الكروب، بذكر الله يحصل النصر ويثبت القلب في مواطن الفزع، ولذلك أمر الله تعالى بذكره عند مقابلة الأعداء في الحرب فقال:{**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [الأنفال: 45]، إنَّ ذِكْرَ الإنسان ربه يملأ قلبه سرورًا ويكسو وجهه نورًا ويذكره الله به، يقول الله تعالى في القرآن الكريم:{**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**} [البقرة: 152].

ويقول تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي صلى الله عليه

وسلم عنه:"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ - [1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :"سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ - قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ:"الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ - [2]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :"مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ - [3].

فاتقوا الله عباد الله وأكثروا من هذه المكاسب العظيمة بأعمال يسيرة، أكثروا من ذكر الله عز وجل بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، ليكن ذكر الله تعالى في قلوبكم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم كونوا متذكرين دائمًا لعظمته وجلاله وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، واعلموا أن كل قول من الخير تريدون به وجه الله فهو من ذكر الله. اذكروا الله تعالى بجوارحكم بفعل الطاعات وترك المعاصي فإن كل فعل أو ترك تقومون به طاعة لله وتقربًا إليه فهو من ذكر الله. أكثروا من ذكر الله تعالى ولا تكونوا ممن أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطًا. أكثروا من ذكر الله قبل أن يحال بينكم وبينه إما بالموت أو بالعجز أو بحرمانكم منه عقوبة على غفلتكم.

أخي المسلم، لا يشغلنك عن ذكر الله مال ولا بنون فإنما:{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف:46]، والباقيات الصالحات كل عمل صالح وعلى رأسها قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وذِكر الله تعالى غنيمة وربح، وإن الغفلة عن ذكره غرم وخسارة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً - أي النقص والحرمان -؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ - [4].

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 6970و (م) 2675 واللفظ للبخاري.
(2) (صحيح) أخرجه (م) 2676.
(3) (صحيح) أخرجه (خ) 6044.
(4) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش 2274.

وللذكر فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

1 – ذِكر الله يرضي الرحمن ويطرد الشيطان، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ☻ يَقُولُ إِنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:**"إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: مَا مِنْ مَبِيتٍ وَلَا عَشَاءٍ هَاهُنَا، وَإِذَا دَخَلَ وَلَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ** -[1].

2 – الذِّكر يرفع ميزان العبد يوم القيامة، فعَنْ أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** -[2].

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ:قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم :**"لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** -[3].

3 – ذكر الله يحفظ الأوقات ويجمع الشتات.

4 – ذِكْر الله يجلب أعظم الفوائد ويعين على الشدائد، فعند المصيبة تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! هذه تعينك على الشدائد وتجمع لك أعظم الفوائد.

5 – الذِّكر أسهل الأعمال وأشرف الخصال، ما أسهل الذكر! وأنت على فراشك يمكن أن تسبق الصائم المنفق والمصلي؛ فاذكر الله بحضور قلب.

6 – الدوام على ذكر الله حصن وحبل من الحق متين فلا تأتيك الوساوس، وما ظهرت الأمراض النفسية وفتحت المستشفيات إلا من قلة ذكر الذاكرين وإعراضهم عن الوضوء والصلاة، وقراءة القرآن وأذكار الصباح والمساء.

7 – التعود على الذِّكر يكسو الوجه الاطمئنان والوقار، قال تعالى:

(1) (صحيح) أخرجه (حم م د هـ) وصححه الألباني في ص.ج 519.
(2) (صحيح) أخرجه (م) 223.
(3) (صحيح) أخرجه (ت) 3597 وصححه الألباني.

{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِـذِكْرِ الله أَلاَ بِـذِكْرِ الله تَطْمَـئِنُّ الْقُلُـوبُ} [الرعد:28].

ومن علامات الإيمان كثرة ذكر الله تعالى، فاشغلوا ألسنتكم بذكر الله، جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى، فقال له: إني تاجرت فخسرت، قال: عليك بالاستغفار! ثم جاءه آخر، فقال له: إني عقيم لا يولد لي، فقال له: عليك بالاستغفار! ثم جاءه ثالث، فقال: إن بلادنا قد وقف عنها المطر وقحطت وأجدبت الأرض، قال: عليكم بالاستغفار! فقال له رجل: يا أبا سعيد: شكوا إليك أمراضاً شتى، وذكرت لهم دواءً واحداً! قال: إن الله تعالى يقول:{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (11) وَيُمْـدِدْكُمْ بِـأَمْوَالٍ وَبَنِـينَ وَيَجْعَـل لَّكُـمْ جَنَّـاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً(12)} [نوح:10 - 12]. وعَنْ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :"مَـنْ قَـالَ: أَسْـتَغْفِرُ الله الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُـوبُ إِلَيْـهِ غُفِـرَ لَـهُ وَإِنْ كَـانَ فَـرَّ مِـنْ الزَّحْفِ -[1].

وكذلك فإن للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عظيماً فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :"مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَـلَوَاتٍ، وَحُطَّـتْ عَنْـهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ - [2]. وأفضل صيغة للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الصلاة الإبراهيمية في التشهد الأخير، ويستحب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الآذان، وأول الدعاء وأوسطه وآخره، وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، وعند ذكررسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند الدخول والخروج من المسجد، ويوم الجمعة وليلتها، وعند القيام من المجلس، وفي خطبة النكاح، وفي خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء، وعند الكرب والهم، وعند ختم الكلام...

(1) (صحيح) أخرجه (ت) 2831 وصححه الألباني.
(2) (صحيح) أخرجه (حم خد ن ك) وصححه الألباني في ص.ج 6359.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *